مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار 1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 07/ العدد: 02 مارس (2021) - ص 466- 474

فَلْسَفَةُ الحَيَاة وَ المَوْت عِنْد العَرَب الجَاهِلِيين اِنْطِلاقًا مِنْ شِعْرِ المُثَقِّب العَبْدِي

The philosophy of life and death among pre-Islamic Arabs Through poetry of almothakkeb abdi

بَقّاقه عَلِي [1]
[1]ali.begaga@univ-biskra.dz
بلقاسم رفرافي [2]
[2]belkacem.refrafi@univ-biskra.dz
وحدة التكوين و البحث في نظريات القراءة ومناهجها
جامعة محمّد خيضر –بسكرة/ الجزائر

تاريخ الاستلام: 2020/06/23 تاريخ القبول: 2021/01/22 تاريخ النشر: 2021/03/15

مُلَخَّصُ البَحْث

قُمْتُ بِتَحْلِيل فَلْسَفَة المُثَقِّب العَبْدِي للحَيَاة وَ المَوْت في البِيئَة الجَاهِلِيّة مِنْ خِلاَل نَمَاذِج شِعْرِيَّة له ، و اِسْتَعَنْتُ بالمَنْهَج الوَصْفِي التَحْلِيلي . فَشِعْره يَعْكِسُ الرَّغْبَة في الانْتِصَار على تراجيديا الوَاقِع ، وَ دْرَامَا الحَيَاة ، و هُو هَمّ جَمَاعِي تُغَذِّيه جُمْلة مِن العَلاقَات الجَدَلِيَّة المُتضَارِبَة وَ المتَنَاقِضَة .

وَ خَلَصْتُ إلى أنّ رُؤْيَتَهُ للمَوْت تَنْطَلق مِن تِلْك القَطِيعَة الحَتْمِية مَعَ الطَلَل أو المَحْبُوبة ، كَمَا لاَحَظْت أنّهُ ذُو فَهْمٍ سليم للموت و الحياة ، نَابِع مِن تَأثّره بالنّصْرَانِيَة .إذْ رَبَطَهُما بضرورة الجدّ و الرجولة و الصدق .

الكلمات المفتاحية: -المُثقّب العَبْدِي -الفَلْسَفة – حَتْمِيَّةُ المَوْت – البيئة الجاهلية -صُعُوبَات الحَيَاة

ABSTRACT:

I want to explain the philosophy of the pre-Islamic poet (almothakkeb abdi) About life and death and the reflection of their difficult lives in his poetry.

And this is through models of his poetry With the use of descriptive analytical method . Where I noticed that his poems depict one situation which is the desire to triumph over difficult nature .Therefore, the most important topics that the poet dealt with her: the inevitability of death and the various difficulties of life.

- Keywords: -almothakkeb abdi - The philosophy -The inevitability of death - Pre-Islamic environment - Life difficulties

[1]- المؤلف المرسل: بَقّاقه عَلِي

-مقدّمة:

الشِعْرَ الجَاهِلِي كَالآنيَة المُزَخْرفة الَّتي تَسَع شَظايَا الآهَات وَ الأَنِين الّتِي تَصْدُر مِنْ نَفْسِ الشَّاعِر ، فَتَعْكِسُ وَاقِعَه وَ فَلْسَفَتَه فِي الحَيَاة ، وَ مِنْ أَهَمّ القَضَايَا الوُجُودِيّة الّتِي تنْبُضُ بِهَا قَصَائِد الشُعَرَاء الجَاهِلِيين قَضِيَّةُ الحَيَاةِ وَ المَوْت ، وَ قَدْ حَاوَلْت تَحْلِيل فَلْسَفَتِهم للحَيَاة وَ المَوْت فِي تِلْك الحِقْبَة الزَمَنِيَّة مِنْ خِلاَل نَمَاذِج شِعْرِيَّة للشّاعِر الجَاهِلِي المُثَقِّب العَبْدي ، مِنْ مَنْظُور المَنْهَج الوَصْفِي التَحْلِيلي .

وَ خرجتُ بنَتَائج مُهِمّة لَعَلّ أَبْرَزها أنّ رُؤْيَة المُثَقِّب العَبْدي للمَوْت تَنْطَلق مثل غيْرِه مِن الشُعَرَاء الجَاهِلِيين مِن تِلْك القَطِيعَة الحَتْمِية مَعَ الطَلَل أو مَع المَحْبُوبة ، و اتسم المُثَقّبُ بالحكمة في تَعَامله مَع حَتْمِية المَوْت و مستَجدّات الحياة ، إذْ يَرَى في المَوْت قَضَاءً لاَبُدّ أَنْ نَسْتَعِدَّ لَهُ بِالْجِدّ و حُسْن الأعْمَال ، لذَا رَأَى أَنَّ الحَيَاة أَكْبَر مُعَلِّم يمْكِن أَنْ نَسْتَفِيد مِن تَجَارُبِها... ، و غيرها من النتائج الّتي سنطّلع عليها في متن البحث ، و اِنْطِلاقًا مِمَّا سَبَق : مَا هي الظرُوف الحَضَارِيَّة و الثقَافِيَّة الّتِي أَسْهَمَت فِي تَكْوِين شَخْصِيَّةِ المُثَقِّب و صَقْل خبَرَاتِه ؟ و فِيمَا تَتَمَثّل فَلْسَفَتُه حَوْل قضَايَا عَصْرِه ؟

لاَ شَكَّ أَنَّ الحَدِيثَ عَن جَدَلِيَّة المَوْت و الحَيَاة عِنْد المُثَقِّب العَبْدِي تَقْتَضِي مِنّي الحَدِيث عَنْ نَسَبِه و قَبِيلَته ، « فَالإِنْسُان اِبن بِيئَتِه و عَوَائده و مَأْلُوفه... فَالّذِي أَلِفَه مِن الأَحْوال حتّى صَارَ خُلُقًا و مَلَكَة و عَادَة » [1] ، وَ شَخْصِيَّة الإِنْسَان وَ نَمَطُ تَفْكِيره هِيَ انْعِكَاسٌ مُبَاشِر لِبِيئته الّتِي تربَّى فيهَا .

أولاً: نَسَبُ المُثَقِّب العَبْدِي وَ أَثَرُ قَبِيلَته فِي شِعْره :

اِسْمه الحقيقي هو « عَائِذُ بْنُ مِحْصِن بْنُ ثَعْلَبَة بْنُ وَائِلَة بن عُدَيّ بْنُ دُهَن بْنُ مُنَبَّه بنُ نُكْرة بنُ لُكَيْز بنُ أَفْصى بنُ عَبْد القَيْس » [2] ، سُمِي بكسر القاف لِقَوْلِه :

ظَهَرْنَ بِكَلَّةٍ وَ سَدَلْنَ رَقْمًا *** وَ ثَقَّبْنَ الوَصَاوَصَ لِلْعُيُونِ [3]

وهُو شَاعِرٌ جاهِلِي عَاشَ زَمَن المَلِك المَشْهُور عَمْرُو بن هِند « و كَان في جُملة اللّذين كَانوا يَتَردّدون عَلى عَمرو بن هند و يَمْدَحونه... » [4] ، و كان صَدِيقا مُقرَّبًا إِلَيْه .

تُوفي عَام 587 م ، و دَليلُ المؤرّخين إِدْرَاكه حُكْم النُعْمَان بن المُنْذر ، « لأَنَّ النُّعْمَان بَدَأ حُكْمَه عام 582م ، و اِسْتمرّ حتَّى 613م » [5] .

و المُثَقّب من عَائِلَة شَرَف و رِيَاسَة ، فَجدُّهُ ثَعْلَبَة يُسْتَدعى للصُلْح بَيْن قَبَائل العَرب :

أَبِي أَصْلَحَ الْحَيَّيْن بَكْرًا وَ تَغْلِبًا *** وَ قَدْ أَرْعَشَتْ بَكْرٌ وَ خَفَّ حُلُومُها [6]

فَسَارَ المُثَقّب عَلَى نَهْجه ، إِذْ كَانَ المثقّبُ سَفِيرًا لِعَبْد القَيْس عِنْدَ غَيْرهم مِنْ القَبَائِل العَرَبِيَّة ، « فَالمُثَقّبُ سِيَاسِي بَارِع ، و سَفِيرٌ نَاجِحٌ ، اِسْتَغَلّ مَهَارَته السِّيَاسِية فِي إِحْلاَل السَّلاَم و إِنْهَاء الخِصَام بَيْنَ

المَنَاذِرَة و العَبْدِيين ... » [7]. و يَدُلُّ عَلى ذَلك تَوَسُّطُه لِعَبد القَيْس عِنْد المَنَاذِرَة و مَلِكِهم عَمْرُو بنُ هِنْد لِيَعْفُو عَنْ إِخْوَانه مِن الأَسْرَى العَبْدِيين :

فَأَنْعِمْ – أَبَيْتَ اللَّعْنَ- إِنَّكَ أَصْبَحَتْ *** لَدَيْكَ لُكَيْزٌ كَهْلُهَا وَ وَلِيدُهَا [8]

و قَدْ كَانَ لِقَبِيلَة المُثَقّب العَبْدي أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي شِعْرِه و نَمَطِ تَفْكِيرِه ، و كذَا نَظْرَته لِلْكَوْن و الحَيَاة عُمُوما ، فَقَبِيلَتُه عَبدُ القَيْس تَتَمَيّز بِكَثْرَة العَدَد و سَعَة الاِنْتِشَار ، « و هِيَ القَبِيلَة الكَبِيرَة المُتَحَدِّرة من رَبِيعَة العَدْنَانِية ، و الَّتِي تَقَدَّمَت مع بَعْض قَبَائِل أُخْرى من رَبِيعَة فَنَزَلَت عَبْد القَيْس في البَحْرين وهَجَر على الشَاطِيء الغَرْبي من الخَلِيج العَربي ، فأَجْلَت قَبِيلَة إِيَّادٍ عَنها » [9]. وَ الظَاهِرُ أَنّ قَبَائِل القَيْسِيين غَلَبَت الرِّحْلَة و النُزُوح عَلَى حَيَاتِهم فَقَد كَانُوا يَسْكُنُون غَرْب شِبْه الجَزِيرة العَرَبِية فِي تِهَامة، وَ بِسَبَب الحُرُوب الكَثِيرَة بَيْنَهم و بَيْن قَبَائِل رَبِيعَة الأُخْرى نَزَحَت نَحْو الشَرْق و اِسْتَقرّوا بِدِيَار البَحْرِين المُطِلّة على الخَلِيج العَرَبِي ، « فَقَد نَزَلَت عَبْد القَيْس البَحْرِين بَعْد أَنْ أَجْلَت إِيَّادًا عَنْها » [10].

هَذِه الحَيَاة القَاسِيَة الّتِي تَتَمَيّز بِكَثْرَة الاِنْتِقَال و النُزُوح مِن مَكَان إِلى آخَر بَحْثًا عنْ الكَلأ و المَاء، وتَمَيَّزَت بِكَثْرَة الحُرُوب و الصِّرَاعَات كَانَ لَهَا انْعِكَاس مُبَاشِر عَلى شَخْصِية المُثَقّب العَبْدي .

ثانيًا : فَلْسَفة الحَيَاة و المَوْت في شِعْر المُثَقّب العَبْدي :

أ/- حَقِيقَة المَوْت فِي الشِّعْر الجَاهِلِي و في شِعْر المُثَقّب العَبْدي:

حُبَّ الحَيَاة و التَعَلّق بِهَا و كُرْه المَوْت و الخَوْف من لقَائِه مِن السُنَن الكَوْنِيَّة الثّابِتَه الّتِي خَلَقَها اللهُ تَعَالَى في نَفْسِ كُلّ إِنْسَان ، وَ قَبْلَ أَنْ أُشِيرَ إِلَى فَلْسَفة المُثَقّب حَوْل المَوْت و الحَيَاة اللاَّزِم أَنْ أُشِير إِلى آرَاء بَعْض الشُعَراء الجَاهِلِيين حَوْل حَقِيقة المَوْت الّتِي كَانَت تُؤَرّق الإِنْسَان الجَاهِلِي في وَسَط تِلْك الصَّحْرَاء المُوحِشَة ، فَالظَّاهِر أَنَّ الشُعَرَاء الجَاهِلِيين اِخْتَلَف فَهْمُهُم لِحَقِيقة الحَيَاة و المَوت بِاخْتلاف خَلْفِيَتِهم الفِكْرِية و العَقَدِية ، فَهَا هو(طَرَفة بن العَبْد) يُصَوّرُ المَنِيَّة تَصْوِيرًا مَحْسوسًا، فهي تتجسّدُ وَراءهُ و أَمَامَه ، وَ لاَ يَسْتَطِيع تَفْسِيرهَا :

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَوَاجِلٌ *** أَفِي اليَوْمِ إِقْدَامُ الْمَنِيَّةِ أَمْ غَدِ

فَإِنْ تَكُ خَلْفِي لاَ يَفُتْهَا سَوَادِيَا *** وَإِنْ تَكُ قُدَّامِي أَجِدْهَا بِمَرْصَدِ

فَإِنْ مِتُّ فَانْعَيْنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ *** وَشُقِّي عَلَيَّ الْجَيْبَ يَا ابْنَةَ مَعْبَدِ [11]

و من الشعراء الجاهليين من قال بِفَنَاء الجَسَد و بَقَاء الرُّوح مَعَ الإِعْتِقاد بالبَعْث و الحِسَاب، وهُو مُعْتَقد أَتْبَاع الكتب السَمَاوية ، (فالسَمَوْؤل بن عَادِياء) الّذي اعْتَنق اليَهُودية ، يقول :

لَيْتَ شِعْرِي وَ أَشْعُرَنّ إِذَا مَا *** قَرَّبُوهَا مَنْشُورَة وَ دُعِيتُ

أَلِيَ الفَضْلُ أَمْ عَلَيَّ إِذَا حُو *** سِبْتُ أَنّي عَلَى الحِسَابِ مُقِيتُ

وَ أَتَانِي اليَقِينُ أَنِّي إِذَا مُتُّ *** وَ إِنْ رُمَّ أَعْظُمِي مَبْعُوث [12]

أمّا الشعراء المَسِيحيون فكان لَهُم نَفْس المَعْنى ، فآمنوا بيَوْم الحِسَاب ،كقول(أمَيَّة بن أَبِي الصَّلْت):

وَ إِنْ يَكُون الخَلْقُ كَالْخَالْقِ الّذِي *** يَدُوم وَ يَبْقَى وَ الخَلِيقَةُ تَنْفَدُ

وَ تَفْنَى وَ لاَ يَبْقَى سِوى الوَاحِدُ الّذِي *** يُمِيتُ وَ يُحْيِي دَائِبًا لَيْسَ يَهْمَد [13]

و (زيد بن عمرو بن نوفيل) من أتباع العقيدة الإبراهيمية يَرى أنّ الموتَ حقٌّ ، و أنَّ الله سَيجزي النَّاس على قدر أعمَالِهِم:

بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَفْنى رِجَالاً *** كَثِيرًا كَانَ شَأْنُهُمُ الفُجُورُ

تَرَى الأَبْرَارَ دَارَهُمُ جِنَانُ *** وَ لِلْكُفّار حَامِيَةٌ سَعِيرُ

وَ خِزْيٌ فِي الحَيَاة وَ إِنْ يَمُوتُوا *** يُلاقُوا مَا تَضِيقُ بِهِ الصُدُورُ [14]

و لاَ شَكّ أَنَّ هذِه النَظْرَة لاَ تَخْتَلف كَثِيرًا عَنْ النَظْرة الإسْلاَمِيَّة ، و في ذلك يقول الإمام علي بن أبي طالب :

لَو كُنّا إذَا مِتْنا تُرِكْنا *** لَكَان المَوْت رَاحَة كُلّ حَيّ

وَ لَكِنّا إِذَا مِتْنا بُعِثْنا *** وَ نُسْأَل بَعْدَ ذَا عَنْ كُلّ شَيْءٍ [15]

أمَّا المُثَقِّبُ العَبْدي فَلَم تَكُن نظْرَتُه للمَوْت تَخْتلف كَثِيرا عَنْ غَيْره مِن الشُعَراء الجَاهِلِيين السَّابِقين ، خَاصَة وَ أَنَّه شَاعِرٌ نَصْرَاني كَمَا ذَكَرَ الكاتب لويسْ شِيخُو في كتابه (شُعَرَاءُ النَصْرَانية)[16]، حَيْث نجِدُه يُؤَكّد عَلَى حَتْمِيَة المَوْت ، فَالْمَوْت قَضَاءٌ مُقَدَّر ، لاَ مَهْرَب مِنه فِي سِيَاق الرَدّ عَلى زَوْجَته الّتِي عَيَّرته بِالشَّيْب و العَجْز ، حَيْث سَخِرَت اِزْوِرَارَ وَ اِعْوِجَاج شَعْرَاتِه الّتِي كَسَاها الشَيْب :

تَهزَّأَتْ عِرْسِي وَ اِسْتَنْكَرَت *** شَيْبِي ، فَفِيهَا جَنْفٌ وَ اِزْوِرَارٌ [17]

ففترة الشَبَاب مَا هُي إلاَّ ثَوْب مُسْتَعار يُكْسَى بِه المَرْأ لِفَتْرة قَصِيرَة ، ثُمَّ لاَ بُدَّ أَنْ يُرْجِع تِلْك الوَدِيعَة ، و هُنَا تَأْكِيدٌ عَلَى حَقِيقَة أَنَّ الإنْسَان آيِل للزَوَال و المَوْت مَحْسُوب بِمَرَاحل مُقَدّرة :

لاَ تُكْثِرِي هُزْءًا ، وَ لاَ تَعْجَبِي *** فَلَيْسَ بِالشَّيْبِ عَلَى المَرْءِ عَارٌ

عَمْرُكَ ! هَلْ تَدْرِينَ أَنَّ الفَتَى *** شَبَابُه ثَوْبٌ عَلَيْه مُعَارٌ [18]

فلَيْسَ يَنْفَع المَرْأ في هَذه الحَيَاة لاَ كَثْرَة مَال ، و لاَ قُوّة دُرُوع و لاَ صِحَّة بَدَن ، مَا دَام في هَذه الحَيَاة اِنْقضَاء و زَوَال :

وَ لاَ أَرَى مَالاً إِذَا لَم يَكُنْ *** زَغْفٌ وَ خُطّارٌ وَ نَهْد مُغَار [19]

فَالإِنْسَان لَهُ مَصِيرٌ مَعْلُومٌ ، لاَ يُمْكن أَنْ يُخْطِئه ، فَهَذا الدَهْرُ بِلَيَالِيه لاَ بُدّ أَنْ يَلُفّه في أَكْفَان المَوْت ، فَلَيْس يَنْفَعُه فِرَارٌ و لاَ هُرُوب:

فَذَاكَ عَصْرٌ قَدْ خَلاَ وَالفَتَى *** تَلْوي لَيَالِيه بِه وَ النَهَار

لاَ يَنْفَع الهَارِبَ إِيغَالُه *** وَ لاَ يُنْجِي ذَا الحِذَارَ الحِذَارُ [20]

ب/- فَلْسَفَة المُثَقّب العَبْدِي فِي تَعَامُلِه مَعَ الحَيَاة وَ مُسْتَجَدَّاتِهَا :

إِنَّ المُتَأَمّل في أَشْعار المُثَقّب العَبْدي يَجِدُها تَنْبُض بِالْحِكم و التَجَارب ، فَهُو يَنْظُر إِلى هَذِه الحَيَاة نَظرَة مِثَالية ، فَلاَ يَسْتَحِقّ الحَيَاة إِنْسَان فَاشِل ، يَقُول :

وَلَلمَوتُ خَيرٌ لِلفَتى مِن حَياتِهِ *** إِذا لَم يَثِب لِلأَمرِ إِلّا بِقائِدِ [21]

و رفض أن تكون الحياة بضعف الهمّة و وَهَن القَلْبِ ، إِذْ يَجِبُ عَلَى المَرْءِ مُعَالجة أموره بحزم ، و أن لا يَرْكَن للرَّاحَة :

فَعالِج جَسيماتِ الأُمورِ وَ لا تَكُن *** هَبيتَ الفُؤادِ هَمُّهُ لِلوَسائِدِ [22]

و الحَيَاة صِرَاع و صبْر في زمَنِ الجَفَاف وَ القَحْط و الاِسْتِعْداد لَهُما بِجزيل الكَرَم و سَعَة البَذْل، فَهِيَ مِن شِيَم الرَّجُل المَاجِد البَطَل ، فَمَتَى يُنَادَى عَلَيه في المُعْضِلات أَجَابَ بِعَظِيم اللُّهَى أَيْ بِجَزِيلِ الإِحْسَان :

إِذا الريحُ جاءَت بِالجَهامِ تَشُلُّهُ *** هَذا لَيلُهُ شَلَّ القِلاصِ الطَرائِدِ

كَفى حاجَةَ الأَضيافِ حَتّى يُريحَها *** عَنِ الحَيِّ مِنّا كُلُّ أَروَعَ ماجِدِ

إِذا قيلَ مَن لِلمُعضِلاتِ أَجابَهُ *** عِظامُ اللُهى مِنّا طِوالُ السَواعِدِ [23]

فَالحَيَاة عِنْد المُثَقّب العَبْدي هي حَيَاة الجِدّ و التَدَبّر ، و الإِنْسَان مُطَالَب بِالبَحْث و الاِسْتِكْشَاف من أَجْل الاِسْتِعداد لِمَا هُو آتٍ:

إِنَّ الأُمُورَ إِذَا اِسْتَقْبَلْتَهَا اِشْتَبَهَتْ *** وَ فِي تَدَبُّرِهَا التِبْيَانُ وَ الْعِبَرُ [24]

إِذَا مَا تَدَبَّرْتَ الأُمورَ تَبَيَّنَتْ *** عَيَانًا صَحِيحَاتُ الأُمُورِ وَ عُورُهَا [25]

تأثّر المُثَقّب بتشريعات النصرانية فالإِنْسَان إِنْ كَان طَيْبا بَعِيدًا عَن الغَيّ فَلاَ خَوْفَ عَلَيْه ، و إِنْ كَانَ ظَالِمًا سَيَلْقَى الخَيْبَة يقول :

فَجَزاهُ اللَهُ مِن ذي نِعمَةٍ *** وَجَزاهُ اللَهُ إِن عَبدٌ كَفَر [26]

وَ يُؤَكّد عَلَى إِيمَانِه بِعَظَمَة اللهِ وَ قُدْرته المُطْلَقة ، و سَرَيَان حُكْمِه عَلَى الخَلْق:

وَ أَيْقَنْتُ إِنْ شَاءَ الإِلَهُ بِأَنَّه *** سَيُبْلِغُنِي أَجْلاَدَهَا وَ قَصِيدَهَا [27]

وَلَوْ علِمَ اللهُ الجبَالَ عَصَيْنَهُ *** لَجَأَ بِأَمْرَاسِ الجِبَال يَقُودُها [28]

لذا يَرْبِط المَوْت بِضَرُورة الكَرَم و البَذلِ و الجِدّ ، و في مَوْاضِعٍ كَثِيرة يَدْعُوا للتَحَلّي بِالقِيَم الإنْسَانية مِثْل نُصْرَة الضَعِيف ، مِن ذَلك تَصْوِيره لِصُورَة مُؤَثّرة لِمُسَافِرٍ سَرَى لَيْلاً فَضَلَّ الطَرِيق وَ تَاه فِي وَسَط الصَّحْرَاء المُوحِشة ، و أَوْشَك عَلى الهَلاَك في مَنْظَر يَائِسٍ ، فَأَثْقَب لَهُ نَارَه و خَرَج يَبْحَث عنْه، لِيُنْقذه مِن المَوْت المَحْتُوم ، و يُكْرِمه بِأَحْسَن مَا يَمْلِكه ، حِين يَذْبَح أَجْوَد إِبِله البَرْكِ الهَوَاجِد وَ هِيَ المُكْتَنِزَةُ اللَّحْم ، يَقُولُ فِي ذَلِك :

وَسارٍ تَعَنّاهُ المَبيتُ فَلَم يَدَع *** لَهُ طامِسُ الظَلماءِ وَاللَيلِ مَذهَبا

رَفَعتُ لَهُ بِالكَفِّ ناراً تَشُبُّها*** شآمِيَّةٌ نَكباءُ أَو عاصِفٌ صَبا

وَ قُمتُ إِلى البَرَكِ الهَواجِدِ فَاتَّقَت *** بِكَوماءَ لَم يَذهَب بِها النَّيُّ مَذهَبا [29]

المُثَقِّبَ العَبْدِي حَكِيمٌ وَ وَاعِي بِأُمُورِ الحَيَاة ، خَبِيرٍ بِمُقْتَضَيَاتِهَا و أَسْرَارِهَا ، فَمَا مِنْ أَمْرٍ صَادَفَه فِي حَيَاتِه إِلاَّ تَعَامَل مَعَه بِحِكْمَة المُجَرِّب ، فَكَانَتْ لَهُ فَلْسَفَة قَوِيَّة و تَعَامُل سَلِيم ، فَإِذَا مَا اِسْتَكْشَفْنَا عَلاَقَته بِالغَانِيَاتِ لَوَجَدْنَه يُخَالِفُ غَيره من الشعراء ، فَلِئِن بَكَى غَيْرُه دُمُوعَهُم مِدْرَارًا بِسَبب الهَجْر فَإِنَّ المُثَقِّب العَبْدِي رَجُلٌ شَهْمٌ يَأْبى أَنْ يَذِلّ للمَحْبُوبة المُخْلفة للوُعُود ، فَهُو يُقَابِل الهُجْرَان بِهُجْرَانٍ أَكْبَرَ مِنْهُ ، حيثُ خَاطَبَ مَحْبُوبَتَه فَاطِمَة بِكَلِمَات قَوِيّة ، رَافِضًا أَنْ يَكُون شيئا ثانويًا في حَيَاتها يقول :

أَفَاطِمُ قَبْلَ بَيْنِكِ مَتّعِينِي *** وَ مَنْعُكِ مَا سَأَلْتُ كَأَنْ تَبِينِي

فَلاَ تَعِدِي مَوَاعِدَ كَاذِبَاتٍ *** تَمُرُّ بِهَا رِيَاحُ الصَّيْفِ دُونِي [30]

فَإِمَّا أَنْ تُمْتِعَه بِالوَصْلِ وَ المَوَدّة أو تبْتَعد عَنه ، رَغْم أَنَّ المُعْتَاد عَلَيْه فِي عُرْف المُحِبّين أَنَّ المَذَلَّة فِي الهَوى مَحْمُودَةٌ ، كقول الشَّاعر العبَّاسي (أبي الشَيْص) :

أَجِدُ المَلاَمَة فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً *** حُبًّا لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِي اللُّوَمُ [31]

و هُو شُجاع و جَرِيء في مَوْضِع الحَقّ و لو عَلى حِسَاب رُوحِه و حَيَاته ، و هَا هو يَتَوَجّه بِكَلِمَات قَوِيّة إِلى المَلك الطَّاغِية (عَمْرُو بنُ هِنْد) :

إِلَى عَمْرٍو وَ مِنْ عَمْرٍو أَتَتْنِي *** أَخِي النَّجَدَاتِ وَ الحِلْمِ الرَّصِينِ

فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَخِي بِحَقٍ *** فَأَعْرِفَ مِنْكَ غَثّي أَوْ سَمِينِي

وَ إِلاَّ فَاطَّرِحْنِي وَ اتَخِذْنِي *** عَدُوًّا أَتَّقِيكَ وَ تَتَقِينِي [32]

و فلسَفَةُ الكفاحِ عِنْدَهُ تَقْتَضِي التَحَلّي بِالصَّبْر في وَجْه المِحَن و الصُّعُوبات حَتّى يُدْرك الإنسانُ مُناه و أهدافه ، لذلك يَكْثر في شِعْره الإرْتحال و السَّفَر :

أَجِدْكَ مَا يُدْرِيكَ أَنَّ رَبَّ بَلْدَة *** إِذَا الشَّمْسُ فِي الأَيَّامِ طَالَ رُكُودُهَا

قَطَعْتُ بِفَتْلاَءَ اليَدَيْنِ ذَرِيعَة *** يَغُولُ البِلاَدَ سُومُهَا وَ بَرِيدُهَا [33]

و المثقّب مُتَيَقّن بِأَنَّ اللهَ لنْ يُخَيّبَه في مطلبه :

وَ أَيْقَنْتُ إِنْ شَاءَ الإِلَهُ بِأَنَّهُ *** سَيُبْلِغُنِي أَجْلاَدَهَا وَ قَصِيدُهَا [34]

و المثقِّبُ العَبْدي مَا دَخَل أَمْرًا عَسِيرًا إلاَّ و حُلَّتْ عُقَدُه ، فَهَا هُو يَتَوَصَّل إلى إقْنَاع الملك الظَالِم أَبي قابوس بفَكِّ سراح أَسْرَى قبيلته لُكَيْز:

فَأَنْعِمْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ إِنَّكَ أَصْبَحَتْ *** لَدَيْكَ لُكَيْزٌ كَهْلُهَا وَ وَلِيدُهَا

وَأَطْلِقْهُمْ تَمْشِي النِّسَاءُ خِلاَلَهُمْ *** مُفَكَّكَة وَسْطَ الرِّحَالِ قيُودُهَا [35]

-خاتمة:

انطلاقًا مِمَّا سبق خرجتُ بمجموعَة منَ النتائج المهمّة ، لعلّ أبرزها :

1- شخصيّة المُثَقِّب العبدي هي رمز للرجل العربي الحكيم الّذي صقلته بيئته القاسية ، فجعلت منه فيلسوفا ثاقب النظر.

2- نظرة المثقّب العبدي إلى أهمّ قضيّة وجودية في زمانه (حتميّة الموت) نظرة منطقية نابعة من تشبّعه بعقائد ديانته النصرانية ، فالموت حتمية لا مفرّ منها .

3- أشعار المثقِّب العبدي تعكس فلسفة مميّزة في التعامل مع الحياة ، منها أنّ الإنسان يجب أن يكون جلدا و صبورا في مواجهة نوائب الدهر ، و كذا أن لا يميل إلى الكسل و التواكل .

4- شعره من أجود ما قالته العرب كما دلّت شهادة أبو عمرو بن العلاء ، لذا وجب التركيز على دراسة أشعاره و حكمه ، لما تحويه من قيم و مثل و فلسفات سبق بها عصره .

5- أدعو إلى الاهتمام بأشعار المثقّب لقلّة الدراسات المنجزة حوله .

-الهوامش:

[1]- ابن خلدون عبد الرحمن، 2002م ، المقدمة، تعليق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط1، ص، 251.

[2]- الجمحي محمد بن سلام، ط 2001م ، طبقات فحول الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت، ص، 104 .

[3]- ديوان المُثَقِّب العبدي، ط 1971م ، شرح وتحقيق : حسن كامل الصيرفي، جامعة الدول العربية (معهد المخطوطات)، ص، 156 .

[4]- جورجي زيدان، ط 2007م، تاريخ آداب اللغة العربية، صدر عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، ج1 ، ص:276.

[5]- ديوان المثقب العبدي (المصدر السابق)، 264 .

[6]- المصدر نفسه، ص، 257 .

[7]- المعيني عبد الحميد، طبعة 2002 م، شعراء عبد القيس وشعرهم (العصر الجاهلي)، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين، الكويت، ص، 267.

[8]- ديوان المثقّب العبدي، المصدر السابق، ص، 116 .

[9]- المصدر نفسه، ص، 11 .

[10]- الجبوري يحيى، 1986 م ، الشعر الجاهلي، خصائصه و فنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 5، ص 40.

[11]- ديوان طرفة بن العبد، 1953م، تحقيق و شرح كرم البستاني، مكتبة صادر، بيروت، ص، 60 .

[12]- ديوان السموأل بن عاديا، 1997 م، شرح، عمر فاروق الطبّاع، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 45 .

[13]- ديوان أميّة بن أبي الصلت، 1998 م ، دار صادر، بيروت، ط1، ص، 43 .

[14]- الحافظ ابن كثير إسماعيل أبو الفداء، 1990 م، البداية و النهاية، مكتبة المعارف بيروت، ج 1، ص، 237 .

[15]- ديوان الإمام علي بن أبي طالب، 1995 م، جمع و شرح، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص، 220.

[16]- الأب لويس شيخو، 1991 م، شعراء النصرانية قبل الإسلام، دار المشرق، بيروت، الطبعة الرابعة، ص، 400 .

[17]- ديوان المثقّب العبدي، (المصدر السابق)، ص، 274 .

[18]- المصدر نفسه، ص، 274 .

[19]- نفسه، ص، 274 و 275 .

[20]- نفسه، ص، 275 .

[21]- نفسه، 267 .

[22]- نفسه، ص، 267 .

[23]- نفسه، ص، 267 و 268 .

[24]- نفسه، ص، 273 .

[25]- نفسه، ص، 272 .

[26]- نفسه، ص، 78 .

[27]- نفسه، ص، 101 .

[28]- نفسه، ص، 104 .

[29]- نفسه، ص، من 117 إلى 121 .

[30]- نفسه، ص، 136 و 138 .

[31]- ابن قيّم الجوزية أبو عبد الله شمس الدين، ط 1982م، روضة المحبّين و نزهة المشتاقين، تحقيق، أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص، 52 .

[32]- ديوان المثقّب العبدي، المصدر نفسه، ص، من 208 إلى 2012 .

[33]- نفسه، ص، من 87 إلى 90 .

[34]- نفسه، 101 .

[35]- نفسه، ص، 116 .